

المدينة والأخلاق عند القديس أوغسطين

أ. عفيان محمد (☆)

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال
2019/09/23	2018/12/24	2018/12/22

روح المدينة السياسية عند القديس أوغسطين اتسمت بطابع القداسة ذو البعد الروحي الذي لازم الفكر السياسي طوال القرون الوسطى الأوروبية، وهذا يعكس التحول في تصور دولة المدينة من اللوغوس اليوناني إلى المقدس الذي فلسفة القيم والسياسية محاكاة للتقليد الكنسي الذي يقدم الإيمان عن العقل، والله عن القيصر والحياة الأخروية على الحياة المادية، كل هذا توج بفلسفة أخلاقية نظر إليها القديس أوغسطين لتصبح نواميس المدينة تطل على مشارق متنوعة لاهوتية وإيطيقية مرجعيتها المحبة ومستقبلها الحياة الرغيدة يوم غائبة التاريخ، فكان لابد للقديس أوغسطين في رؤيته التجديدية للمدينة والأخلاق أن يقف عند مفاهيم جوهرية لتحقيق معنى الفضيلة والمواطنة وتجاوز الشر بالمحبة، بالإضافة إلى توضيح معنى العدالة وماهية المدينة التي لا تحقق إلا بالاشتراك في محبة الخير الذي هو من محبة الله فعلى أي أساس يمكن إحداث توازن بين المدينة السياسية والأخلاق؟ وهل يضمن هذا لنا السعادة الأبدية؟.

1/ ماهية الفضيلة وحقيقة المواطنة:

المدينة الأخلاقية تبنى بأهلها وبقلوب تحب الله وتمقت الذات وبهذا الأساس تعلو الفضيلة الأخلاقية وتدنو المدينة الأرضية التي هي مثل التجمع الجراثومي الذي يتحد على الماديات بسبب الغيرة والحسد "الشر الذي دخل إلى الأرض بمعصية آدم وهبوطه إلى الأرض وتوالده فكثرت الناس وتعرفت على طوائف وجماعات كل يسعى إلى اتجاه، ثم تكوين الدول والمدن بمرور الأيام،

ولما كانت في الإنسان محبتان محبة الذات، ومحبة الله فقد نشأت مدينتان ترجع إليهما سائر المجتمعات البشرية⁽¹⁾

والإنقسام حسب طبيعة المحبة يحدد نوع الفضائل الأخلاقية والمواطنة لمدينة معينة إما مدينة الأشرار الآثمة، أو مدينة الأخيار محبة لله والمسيح فماهية الفضيلة الأخلاقية هي التي تحدد حقيقة المواطنة، وهذا فيه تصور روحي يخالف التقليد اليوناني في تصور طبيعة المواطنة والأخلاق.

إذ بين المواطنة والفضيلة الأخلاقية حضور للإرادة التي هي معيار التمييز بين الانتماء السياسي والروحي حيث نجد كل مدينة عشيرة معينة من الملائكة، وللأفراد حرية الاختيار كما يوضح أوغسطين في الكتاب الأول من مدينة الله قائلا "ما من شرير إلا بإرادته"⁽²⁾

فإرادة البشر هي الخاضعة لطبيعتهم التي هي صراع بين الشهوات والحكمة فمن تعفف اكتملت عنده الفضيلة. وهذا الاكتمال يتم بالترفع عن كل الماديات لأن حقيقتها تكون في نهاية التاريخ بانتصار أهل المدينة السماوية، أما المتعة الزمنية لا تكون زمان السعادة الأبدية، لذلك لا بد من الإبعاد عن الشهوات لتصور المواطن الصالح خصوصا وأن مصادر الشر واضحة لمن يريد تجاوزها، وهذا ما يوضحه أوغسطين في الإعرافات قائلا "مصادر الشر تقوم على أساس الشهوات الثلاث شهوة السلطة وشهوة العين، وشهوة الجسد"⁽³⁾

وتاريخ البشرية فيه شواهد حية للحضارات السابقة التي عرفت الانحطاط لكونها مؤسسة على هذه الشهوات الثلاث، أما المدينة الخالدة الأبدية تؤسس بالمدينة والفضيلة الأخلاقية الموجهة صوب

(*) أستاذ الفلسفة بجامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة

(1) - علي عبد المعطي وآخرون، تطور الفكر الغربي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1987م، ص146.

(2) - القديس أوغسطين، مدينة الله، تعريب الخوار أسقف يوحنا الحلو، الكتاب الأول، دار المشرق، بيروت، ط1 2002م، ص66.

(3) - القديس أوغسطين، الإعرافات، ترجمة الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط3، 1986م، ص52.

محبة الله وانتظار الخلاص وابعاد الشر عن الله "لأن الله مصدر كل شيء وكل خير"⁽¹⁾ أما الشر والضرر فمصدره الإنسان الذي يسيء تقدير الإرادة ويحصل على المواطنة المزيفة داخل المدينة الأرضية.

وهنا المواطنة تجعلنا أمام انقسام عند الأفراد، والضرر ليس في الانقسام والثنائية في الانتماء وإنما فيما ينجم عنها من حروب مستمرة ومآسي تولد الغيرية وتؤسس الانقسام الذي يجعل مفهوم المواطنة والفضيلة الأخلاقية تأويلاً بين المدينتين فما حقيقة الانقسام والغيرية بين المدينتين السماوية والأرضية؟.

2/ الانقسام والغيرية بين المدينتين عند القديس أوغسطين:

رؤية الآخر من خلال مفهوم الغيرية تجعلنا نبرز التوازي بين البشر الذي أقامه القديس أوغسطين القائم على أصول أخلاقية روحية خالصة في تصور المدينة، بل وعلى الأكثر من هذا فتاريخ المدن السابقة ما هو في النهاية سوى تاريخ انقسام بين المدينة الأرضية الفانية والمدينة السماوية، التي يأمل أوغسطين في تحقيقها ولو بعد حين، أي بعد اكتمال لاهوت التاريخ السياسي، بنصرة الحق يوم الدينونة العادلة، فأقام أوغسطين معايير للغيرية يبرر فيها الانقسام الأخلاقي بين المدينتين كالتالي:

أولاً: "الانقسام والغيرية من خلال هابيل وقابيل"

يعود أوغسطين في تبرير للفضيلة والمدينة إلى الكتاب المقدس موضحاً أن الآخر تقديره قائم على أساس الرغبة والغيرة والحسد، لذلك ميز بين نوعين من البشر قابيل وهابيل، كل واحد منهم يمثل نزعة أخلاقية تقابلها مدينة فيقول في الكتاب الخامس عشر من مدينة الله "المولود الأول الأصلي للحسن البشري هو قابيل ابن مدينة الشر والثاني هابيل ابن مدينة الله"⁽²⁾ فإبن مدينة البشر

(1) - علي زيعور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ص 176.

(2) - القديس أوغسطين، مدينة الله الكتاب الخامس عشر، المصدر السابق، ص 216.

قاتل أخيه أعطى مهمة للشر لا تتناسب مسار الفضيلة والسياسة لأن سبب الاختلاف ونشوء الغيرية نابع من غريزة الغيرة والحسد .

ثانيا: " الانقسام والغيرية من خلال إسحاق وإسماعيل "

صورة أخرى للمدينة والأخلاق تجعل مرجعية الاختلاف بين المدينتين بحسب القوة والموعود، أو كما يعبر عنه أوغسطين بقوة الجسد وقوة الموعود ويعود إلى أبناء إبراهيم "إسحاق وإسماعيل" ويرمز لكل واحد منهما إلى مدينة وتقابلها فضيلة أخلاقية" حيث أنه لإبراهيم إبنان أحدهما من الأمة، والآخر من الحرة غير أن الذي ولد من الأمة ولد بقوة الجسد، وأما الذي هو من الحرة ولد بقوة الموعود⁽¹⁾

وبين الجسد والموعود صراع يعكس طبيعة المطالب بين المادة والروح وطبقا الغلبة للقداسة ولمن ترفع عن شرور الماديات.

ثالثا: " الغيرية والانقسام من خلال روملوس ورمسيس "

تأسيس مدينة روما بين الأخوين روملوس ورمسيس لم ينتهي دونما حضور للجسد والرغبة في الانفراد بالتسلط بل اخذ من هذا الأساس الصراع بين الأخوين الذي بمقتل رمسيس ونشوء انقسام في الفضائل منها التي تخدم الله ومنها ما يهدف فقط لإشباع الملذات" فالخلاف بين روملوس ورمسيس يبين مدى انقسام المدينة الأرضية⁽²⁾.

وهذا يعكس غياب السلام والتسامح الأمر الذي يعكس حالة الفوضى أمام تضارب الملذات في ظل غياب الفضائل الأخلاقية، وهذا يجعل المسار الحربي قائم بين المدينة السماوية والمدينة الأرضية ومهما طال غلبة الأشرار فالأمل في يوم الخلاص يجعل أهل المدينة السماوية يرابطون في صبرهم أمام أذى أهل المدينة الأرضية، الذي يولد الغيرية ويقصي المحبة الحقيقية، لهذا لا بد

(1) - المصدر نفسه، ص 217

(2) - المصدر السابق، ص 223.

من رؤية جوهريّة تؤسس للمدينة والأخلاق، انطلاقاً من إيطيقا جديدة توجد في قلب المواطن وهي إيطيقا المحبة فما طبيعتها وحقيقة أبعاد المحبة الأخلاقية والسياسية واللاهوتية؟.

3/ إيطيقا المحبة:

تجاوز الحروب بين المدينتين الأرضية والسماوية جوهره تأسيس لمحبة الله التي تحتقر المادة والذات، لأن الخيرات المادية هي سبب تولد الأزمت داخل المدن الأرضية، التي لم تعرف السعادة، فيكر أوغسطين في الكتاب الرابع عشر من مدينة الله "أنه إذا اختار الإنسان الخيور الخاصة بالمدينة السماوية، يضمن الحصول على السلام الأبدي الذي يناسق وراء الخيور الأرضية، لأنها وحدة بالنسبة إليه وبفضلها على ما هو أسمى، حينذاك يقع حتماً في مزيد من البؤس والشقاء"⁽¹⁾.

فالمحبة الإلهية ترفع الإنسان إلى مستوى المقدس وهذا يعطي السمة الحقيقية لمعنى المواطنة في المسيحية المقترنة بالحياة الأخروية أكثر من الحياة الزمنية، وهذا بالحرية والإرادة الخيرة " فالخير الأسمى الذي يكفل لنا السعادة إنما يتوقف أولاً وأخيراً على توجيه الإرادة توجيهها صحيحاً نحو المحبة الإلهية"⁽²⁾ والتي هي سبيل النجاة والخلص الروحي، خال من فساد العالم الأرضي موطن الصراع والحسد والرغبة التي تحول دون معرفة سبل الحق.

لذلك الاهتمام إلى النواميس الحقيقية القائمة على أساس المحبة كبديل للهزال والضعف الحضاري الذي عايشه روما وباقي المدن الأرضية لابد أن يكون بالتعالي على غرائز الطبيعة المادية، ومطالب الشهوات الإنسية، وتجاوز كل ما هو من طبيعة مادية " وهذا بالبحث عن الله

(1) - المصدر نفسه ، الكتاب الرابع عشر ، ص221.

(2) - زكرياء إبراهيم ، اعترافات القديس أوغسطين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، (د.ط) ، 1984م ص39.

على نحو اهتداء أوغسطين ليبين أن الله لا يختلط بالطبيعة، وأنه لا سبيل لنا إلى معرفته إلا إذا تجاوزنا العضوية وتعالينا عن الحياة المحسوسة⁽¹⁾.

فغاية الحياة المحسوسة سعادة آنية، أما بالمحبة تصبح غاية الخيور المادية تخدم الحياة الأخروية من أجل العيش المشترك ريثما يحل يوم الدينونة الأخيرة وتكتمل القيم الأخلاقية العذراء، وهذه من تعاليم المسيحية وأخلاق التسامح والإنسان النبيل الذي مقابل أن يظفر بغد السعادة يفضل أن يقع عليه الظلم بدل أن يظلم الآخرين، وهذه هي روح فكرة المحبة التي ليست جديدة عند القديس أوغسطين " فقد كانت تتضمنها تعاليم بولس وآراء أوريجين غير أن القديس أوغسطين أعطى لها حقا شكلها وقيمتها التفسيرية"⁽²⁾.

كون المحبة أساس المحبة والعدالة والسلام بين المدينتين لأن أول مرحلة في الانقسام سببها غياب المحبة والتكالب على الرغبة والتسلط وتشديد القلاع والحصون التي لا تحمي المدينة بل تحميها العناية الإلهية التي تشرق على الأخيار وحتى الأشرار من أهل المدينة الأرضية لم يستثنهم أوغسطين من المحبة " حيث لم يحط القديس أوغسطين من مكانة المدينة الأرضية إذ كل ما يمكن تأكيده هو أن أمجاد الأرض فانية"⁽³⁾

لذلك لابد من إضفاء بعد روحي خالص للمحبة لا تعترضه عقبات مادية ولا دوافع إنسية لأن الهدف الحقيقي من ايطيكا المحبة خلاص أخروي في المدينة الخالدة الأبدية، وليس داخل المدينة الآثمة العرضية لذلك اكتمال المحبة لابد له من ايطيكا للعدالة التي تكمل المحبة لتجعل أقانيم المدينة عدالة محبة، أخلاق وفضيلة، فيما تكمن رؤية القديس أوغسطين لايطيكا العدالة كاستمرارية للمحبة والفضيلة الأخلاقية؟.

(1) - المرجع السابق ، ص 43.

(2) - جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق سوريا ، ط1، 2010م، ص186.

(3) - المرجع نفسه، ص169.

4/ ايظيقا العدالة:

بين المدينة والأخلاق حاجة ملحة إلى انطباق وتوازن الحقوق مع الواجبات، الأمر الذي يعكس الضرورة الملحة للبحث في سؤال العدالة وطبيعتها والتي أن تعذر تحقيقها في المجتمع الآن حسب طبيعة كل عصر هذا ما يغذي البحث عن غد أفضل سواء في صورة طوباوية أو خلاص ديني أو اغتراب وتوحد عن المجتمع.

فإننا نجد صورة مشبعة بالمسيحية في تحليل البعد الايطيقي للعدالة من خلال فلسفة القديس أوغسطين " الذي بالنسبة إليه لا يمكن أن تتحقق العدالة مادامت الدولة غير مسيحية، ولا تسير وفق تعاليم الكنيسة"⁽¹⁾ وعليه غياب العدالة من شأنه أن ينعكس سلبا على القيم الأخلاقية وهذا هو سبب اللعنة الحقيقة وليست المسيحية، التي هي بشارة جديدة ووعده بالخلاص حسب دفاع أوغسطين من خلال مدينة الله، إذ يبحث عن توافق وازدواجية للسلطتين الزمنية والروحية لقيام العدالة التي يحميها القديس والقيصر من أجل قيام دولة إمبراطورية خالدة تجمع الدنيوي بالأخروي وتحقق العدالة، التي إن تحققت فإن محبة الله قائمة وهذا لا بد له من " بعد روعي للدولة المشابه لما حصل في الإمبراطورية الرومانية في القرون الوسطى مع الرأس المزدوج للبابا والإمبراطور"⁽²⁾ لكن هذه الازدواجية لم تعمر طويلا بعد انحطاط روما وعاد الوثنيون مثلما بدأوا ناقدين وناقمين على المسيحية.

كذلك رؤيتهم تخلص من العدالة التي تؤمنها العناية الإلهية، أما الأوثان والحصون لا تحمي لا المدينة ولا نحقق العدالة التي لها بعد أخلاقي يخدم التسامح والفضيلة الأخلاقية، لأن الوثنية هي سبب الانحطاط" فقد قامت المسيحية مقام الوثنية داخل روما وأطاحت بالهتها التي كانت في نظر

–(1) عمار بوحوش، تطور النظريات والأنظمة السياسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984م، ص113.

–(2) محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقى، بيروت، ط3، 1986م، ص49.

الوثنيين تحمي المدينة والإمبراطورية ... وانهيار روما هي آلهتها الوثنية⁽¹⁾ فالعار كله لارتباط المواطن بالطابع الدنيوي وتهميش الجانب الأخروي الذي يمثل الحياة الأبدية.

لذلك دافع أوغسطين عن المسيحية لينطلق من تحقيق العدالة التي لا تعرفها المدينة الأرضية الحربية المؤسسة على الرغبة وحب التسلط ليعيد الأمل إلى قلوب تجتمع على المودة والخير، على النحو الذي ذهب إليه أفلاطون المدافع عن العدالة التي أقحمتها حرية الغوغاء أمام تطاول السفسطائيين وسط ساحة لاغورا اليونانية ، الأمر الذي التدبير لأناس ليسوا أهل له فحاول أفلاطون ترتيب القيم انطلاقاً من العدالة في المدينة الفاضلة.

وعلى نحلته يحاول أوغسطين إعطاء بعد روحي للعدالة الاجتماعية في بناء المدينة، وهذه العدالة في المدينة الأرضية بل مستقرها المدينة السماوية التي تحاكي الملائكة الأخيار " لذلك حاول أوغسطين تجنب الاتهام المؤلم وأن يرد الحق إلى نصابه"⁽²⁾

ومادامت المدينة مؤسسة على غاية تتعارض مع الفضيلة الأخلاقية فإن الفوضى الاجتماعية والسياسية تعترض تقدمها، لذلك الخيور المادية ضرورية كوسيلة لضمان الاستمرارية، لكن ليست هي الهدف من تأسيس المدن وتحقيق النواميس الأخلاقية والروحية التي تعكس كمال التدبير السياسي الذي يحرر الأفراد والنزاعات لعيش مع ومن أجل الآخرين في مجتمع عادل وفاضل يشغل أفراد قلوبهم بمحبة الله وليس الماديات التي تعصي إيطيقا العدالة وتبشر بتشاؤم داخل المدينة الأرضية الآثمة وهذا ما يوصفه القديس أوغسطين في الكتاب الثامن عشر من مدينة الله حيث " كل فرد داخل المدينة الأرضية ينشغل بمصالحه وأهواءه يلاحق الأشياء عاجزا عن تلبية حاجيات الجميع وحاجاته الشخصية"⁽³⁾

–(1)حنا الفاخوري وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط1 2001م، ص747.

(2) – المرجع السابق، ص747.

(3) – القديس أوغسطين، مدينة الله ، الكتاب الثامن عشر، المصدر السابق، ص 7.

لذلك غياب العدالة هو أساس الاختلاف بين السماوية والأرضية إضافة أنه جوهر عدم استقرار المدينة الأرضية ذاتها ، وسط غياب توازن في سلم القيم الأخلاقية والاجتماعية الذي توحيده قيم ممقوتة "ذلك فإننا بحاجة إلى العدالة في سياق العناية كالأسرة للحماية ضد العنف وتوزيع العمل"⁽¹⁾

هذه الضرورة الملحة إلى العدالة هي الوسيط بين الذات والآخر قوامها روحي يزيح كل العقبات الإنسانية التي تخدم الشهوات وتعجل في ضعف المدينة والدولة، وهذا ما يتطلب البحث عن تطبيقا المحبة والعدالة في الإطار الروحي للمدينة والسلطة اللاهوتية التي دافع عنها القديس أوغسطين ضد الوثنيين "فالكاتب المقدس الذي لم يشك أوغسطين في سلطته وينظر إليه على أنه المصدر النهائي للحقيقة التي تخص الإنسان بوجه عام، والإنسان السياسي بوجه خاص"⁽²⁾ فالطابع العام لمدينة الإنسان لا يتجسد دون طابع الفضيلة السياسية التي توجه المدينة إلى هدف أسمى يجمع السعادة في الحياة الدنيوية بالنعيم الأبدي في الحياة الأخروية، لذلك توجيه الفلسفة السياسية لابد أن يحاكي تراث الكتاب المقدس والوعد بالخلاص والعيش على أمل رفع الظلم والغبن عن الرعاية والراعي وهذا ما يرفع الأنظار إلى السماء لإنظار المخلص ويجدد الخيبات الحضارية بالبحث عن يوتوبيا الأمل في مستقبل أفضل للمدينة على أمل تحقق المدينة السماوية الموعودة ، والعيش على المحبة فما هي بؤادر مستقبل المدينة السياسية في سياق الايطيقا وتجاوز فساد المدينة الأرضية؟.

5/ مستقبل المدينة السياسية والأخلاقية:

في ظل الأخلاق لابد أن تكون صفة المواطنة متكاملة في بناء مجتمع أساسه روحي قائم على المحبة التي لا يتسرب إليها الشر الأخلاقي الذي هو تعبير عن نقص الإرادة، وبهذا الشكل الجانب الروحي صفة جوهرية في الفرد والمجتمع فيصون المدينة من الضعف والتدهور، لذلك الأخلاق والسياسة أساس البقاء في مسار العناية وهذه هي جوهر السياسة الدفاعية عن الفضيلة

(1) - فرجينيا هيد، أخلاق العناية ، ترجمة ميشال حنا ميتاس عالم المعرفة، الكويت، (د.ط) ، 2008م، ص23.

(2) - ارنست فورتن وآخرون، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديديس حتى اسبينوزا ، ترجمة محمود سيد احمد مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، (د.ط)، 2005م، ص269.

والمدينة عند القديس أوغسطين حيث أننا نجد مستقبل المدينة مرتبط بالسلام الأبدي وانتصار الحق على الظلم، أما الشقاء فمن نصيب المدينة الأرضية التي طبعها تخدم الذات وتمجد الماديات التي تتحول إلى مصدر للشور والحروب، ويتحدث أوغسطين في الكتاب الخامس عشر من مدينة الله، عن المدينة الأرضية قائلا "إن المدينة الأرضية لا تكون أبدية لأنها في الانتقامات الأخيرة تبطل بأن تكون مدينة"⁽¹⁾

لأن السياسية بداخلها بعيدة عن المقابلة الأخلاقية وهدف تأسيسها يخدم الطبع الراغب في الإنسان وحب التسلط والتسابق نحو المجد الأرضي، وبهذا الشكل لا يمكن الحديث عن إيطيقا مستقبلية لاستكمال المدينة الأرضية، أما المدينة السماوية تختلف عن المدينة الأرضية حسب النشأة، الأمر الذي إما يثبت القيم أو ينفيها، أي إما تخدم غاية السياسة المحبة أم الرغبة لأنه" كما يوضح القديس أوغسطين بأن المدينة الأرضية تعيش بحسب الإنسان، والمدينة السماوية تعيش بحسب الله"⁽²⁾ وهنا تتم مراجعته بالوقوف عند الذات وتحديد المحبة الحقيقية.

لأن مصدر السلوك الإرادة التي بدورها توجه الأفراد نحو نكران الذات التي تضمن مواطنة داخل المدينة السماوية المقدسة، أو إلى نكران الخيرات الحقيقية التي هي أبدية والتكالب نحو المطالب المدنية مما يجعل المواطنة قائمة داخل المدينة الأرضية الآثمة، وبهذه الصورة يأخذ بعد المدينة من خلال فلسفة القديس أوغسطين بعدا أخلاقيا يربط المجتمع المدني بالفضيلة الأخلاقية التي تكتمل باكتمال مسار العناية الإلهية " فانطلاقا من وجهة نظر مسيحية فجنود الانتظار الأخروي أساسها معفى من جميع الهموم الدنيوية"⁽³⁾

لذلك المواطنة داخل المدينة الآمنة بكمال القيم الإيتيقية من عدالة وتسامح تتطلب الاكتفاء بالشيء الروحي الذي يترك للقيصر الملك ويوصي الأفراد بأخلاق النبل بعيدا عن الهموم المادية

(1) - القديس أوغسطين، مدينة الله ، الكتاب الخامس عشر، المصدر السابق، ص 220.

(2) - المصدر السابق، ص 278.

(3) - حنة أرندت، ما السياسية؟، ترجمة زهير الخويلدي واسامة بالحاج مبروك، مكتبة الفكر الجديدة دار الاختلاف لبنان، ط1، 2014م، ص59.

التي هي سبب وشقاء البشر وغياب الأمن والسلام وهذا هو أساس توحيد البشر وقلوبهم وأساس "تجاوز الشر بالخير واعتبار مثال القداسة ليس معيار لخلاص الروح الفردية في انتقاد البشر لكن لتوجيه الشؤون الإنسانية نفسها"⁽¹⁾

ومطلب القداسة يستلزم حياة التعفف والعكوف عن الماديات والالتزام بالتسامح وربط الدنيوي بالأخروي، وكانت هذه الفكرة هي السمة الجديدة التي طبعت الفكر السياسي طوال القرون الوسطى الأوروبية في ربط مستقبل السياسة المدنية بالخلاص الروحي ويوم الميعاد.

لذلك بين المدينة السياسية والفضيلة الأخلاقية وتجلياتها الايطيقية بعدا روحي يستلزم وساطة ووصاية الكنيسة مصدر الإيمان الذي يرشد إلى سبيل الحكمة والتعقل، ومصدر السياسية والأخلاق وطالما "تطرح مسألة علاقة الأخلاق بالسياسية على أننا نتدخل في السياسية بأشكال مختلفة، وطالما تفرض نفسها علينا منذ الأزل فالسياسية شأنها شأن الأخلاق تستهدف تكوين نمط معين من العلاقات الإنسانية المعرفة بحدود المعاني"⁽²⁾

أما نمط السياسة والأخلاق في القرون واخترنا أنموذج المدينة عند القديس أوغسطين لهذا الغرض طبعا طغى عليه بعد ديني خالص يقدم الكنيسة على كل تدبير ويعد من أحب الله بالخلاص ويوعد بوعيد الشقاء لمن أنكر الرب واتبع وشايع المدينة الأرضية مدينة الطيش البشري والفوضى الأخلاقية.

أما الطبيعة الحقيقية من وراء كل سياسية كسب الفضائل ليس بالقوة وهذا ما فنده أوغسطين في مدينة الله بل بالثواب والتسامح والبحث عن الخير المشترك للجميع، لكن مثل هذا التصور يعطي للنواميس بعدا قداسيا قد يضعف شوكة الاجتهاد واللوعوس ويقوي شوكة القديس والقيصر على حد سواء الأمر الذي تجسد لاحقا في عصر النهضة بانسلاخ الأخلاق عن السياسة، وحصر

(1) - المرجع نفسه، ص 59.

(2) - عبد الله موسى ، المدينة والأخلاق في خطاب الفارابي من استكمال ايطيقا محذوفة في الفلسفة العربية الإسلامية دار الكتاب العلمية للطباعة ، الجزائر، (د.ط)، 2013م، ص 14.

ما هو مدني في نطاقه، وما هو ديني في نطاقه، بعد الطغيان المقنن بإسم التفويض الإلهي الذي عمر طوال فترة القرون الوسطى.

رغم السياسية الدفاعية للقديس أوغسطين عن المدينة والأخلاق بأفانيهما المتكاملة بين العدالة المحبة والتسامح، لكن تحولت هذه الرؤية إلى حجة لتدعيم مشروع السلطة السياسية، الأمر الذي كل فيلسوف يشكر أخلاق النبل والضعف المسيحية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ارنت فورتن وآخرون، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكلديديس حتى اسبينوزا ، ترجمة محمود سيد احمد مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، (د.ط)، 2005م .
- 2- القديس أوغسطين، مدينة الله، تعريب الخوار أسقف يوحنا الحلو، الكتاب الأول، دار المشرق ، بيروت ، ط1 2002م.
- 3- القديس أوغسطين، الإعرافات ، ترجمة الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت ، ط3، 1986م.
- 4- حنا الفاخوري وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط1 2001م.
- 5- جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق سوريا ، ط1، 2010م.
- 6- حنة ارندت، ما السياسية؟، ترجمة زهير الخويلدي واسامة بالحاج مبروك، مكتبة الفكر الجديدة دار الاختلاف لبنان، ط1، 2014م.
- 7- فرجينيا هيد، أخلاق العناية ، ترجمة ميشال حنا ميتاس عالم المعرفة، الكويت، (د.ط) ، 2008م.
- 8- علي زيعور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة.
- 9- علي عبد المعطي وآخرون، تطور الفكر الغربي، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1، 1987م.

- 10- عمار بوحوش، تطور النظريات والأنظمة السياسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984م
- 11- عبد الله موسى ، المدينة والأخلاق في خطاب الفارابي من استكمال ايظيقا محذوفة في الفلسفة العربية الإسلامية دار الكتاب العلمية للطباعة ، الجزائر، (د.ط)، 2013م.
- 12- عمار بوحوش، تطور النظريات والأنظمة السياسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984م،
- 13- زكرياء إبراهيم ، اعترافات القديس أوغسطين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (د.ط) ، 1984م
- 14- محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب ، دار الساقى ، بيروت، ط3، 1986م، ص49.